جميع بلوك هذي الارض عندك ... وانت الخير ايضاً ذي وعندك
فاين لهم علاك وذاك انك ... لمن وهبوا الخلود فانت منك
وعرب قبلاء والدنيا

التجارة والاسلام (١)

يا كرام الشام اراني كمن هو في المنام يتقل من امر الغرب الى امر الغرب وكل ما اراه من هذه المظاهر يزيدني في كل آنة سروراً على سرور حتى لا يكاد يوجد موضع لزيادة السرور . رأيت في هذه الليلة مشهداً حافلاً ومثالاً يدل على الوطنية الحقيقية في هذه المشاهد فلذلك لم اقالت ان ابتدأ كلامي بالاشارة الى حكمة من رجل عامر وهي انه جمع احد الرجال اولاده واوصاهم بالبر لاباه وجد الاشارة افضل من كل عبارة فقدم لهم العوداً من اغصان الشجر واعطى لكل واحد منهم عوداً وقال له اقصم هذا فكان ما سهل عليه من كسره . ثم ضم الاعواد بعضها الى بعض واعطاها للذي من اولاده الثاني الثالث فالرابع فكانت الشيخصانية فقال بهذا الاتحاد يكون لبل الزراء . لمثلك اجمعكم بوجود هذه الجامعة عاطفة الود والاتحاد التي ترطكم بعضكم ببعض وافترق بعضو الاوكار مشمولاً والاتحاد مجموع وبناءً مع الجماعة .

من دواعي السرور التي رأيتها في هذا البلد الامين التي اجتمعت بنفر من الجامعة ثم بالعامة امس واليوم اجتمعت بالوسط وهم التجار وخير الامور الوسط اجتمعت بهؤلاء في نادي التجارة وهي اساس الملك وبركن العمران

(١) وهي محاضرة ارتجلها ليلة الاربعاء في ٢١ ذي الحجة في النادي التجاري بدمشق احمد زكي بك واعلاها صاحب الندى فليلاً

ولا اطيل الكلام في فوائدها فكلكم ادرى بها مني وتعرفون مزاياها . على التجارة قامت الامم وارتقت الممالك حتى قيل في الامثال : اذا كان مجد العالم بكراريسه فمجد التاجر بكيسه ولكن مجد العالم لايكون له شأن في ترقية الوطن الا اذا امده التاجر بكيسه . العلماء قوم يشتغلون بالعلم ولو اشتغل الناس كلهم بالعلم لكانوا في غير هذه الدنيا ومن غير هذا العالم اذ ما الفائدة من الورق المكتوب ان لم ينضم له الورق المضروب وما الفائدة في الطاميرات ان لم تؤيدها الدنانير . ألم تروا ان سيد الخلق كان تاجراً وان كثيراً من علماء الاسلام اشتغلوا بالتجارة والعلم لما في التجارة من سعادة الدنيا وحياة الامم وما في العلم من سعادة الآخرة . اذا نظرنا الى المسلمين رأينا الحكماء وارباب الدولة منهم يتجرون لامتعة الدنيا يكسبون قوتهم من الحلال لان التجارة هي المكتسب الحلال الصافي من كل قذر .

تعلمون ان علوم العرب قد اخفى عليها الزمان ولكن بقي لنا شيء قليل من ذلك أيام الزمان . كان ابن جبير الاندلسي وابن حوقل البغدادي والمسعودي يطوفون البلاد للتجارة والمكسب ويدونون كل ما يشاهدونه من المعارف ليفيدوا ابناء جنسهم بكل ما استفادوه من التجارة . بهذه الوسيلة نقلت العرب في ايام مجدهم اطراف الدنيا وارتقى لديهم العلم ولذلك كان الاسلام ذلك المظهر البديع في الدين والسياسة الذي ضمن له كل درجة في ارتقاء العالم

ما هي الاسس التي قامت عليها الحياة ؟ هي الزراعة والصناعة والتجارة . فالزراعة اول مصدر حقيقي لمعيشة الانسان حتى اخذ في التحضر والتمصر ولكنها كانت قاصرة بجانبها الصناعة فاشتغلت بما تنتجه الارض من الخيرات

واستحصلت منها خيرات اخرى صناعية . بقيت هذه الحالة في دور الطفولية في ادوارها الاولى فجاءت التجارة وصلة بين الزارع والصانع سبباً في تقدم العلوم وارتقاء المدارك وحسب التجارة فضلا ان سيد البشر وني العرب والعجم قد اشتغل بها كما ذكرنا

ليست كل البلاد زراعية بل منها ما هو جبلي او واقع في سخ البحر فلا يمكن ان تنبت لها الارض شيئاً وترى الانسان في مكان كهذا ليس للزراعة فيه اثر ومع ذلك يعيش بفضل التجارة ولهذا يمكن للانسان ان يستغني عن الزراعة والصناعة ولا يمكنه الاستغناء عن التجارة لانها تنقل له المحصولات الزراعية والصناعية من البلاد التي تمتاز بهما ولكن اذا بارت التجارة عدمت الزراعة والصناعة فالتجارة هو الامر على ما ذكر سيدة المعايش .

كان تجار الشام ملوك التجارة وأعني بالشام تلك البلاد التي يحدها من الشرق العراق ونهر الفرات ومن الغرب البحر الابيض المتوسط (بحر الروم) ومن الشمال بلاد آسيا الصغرى المعروفة عند العرب بارض الروم ومن الجنوب بادية الشام او بادية السماوة او بادية النفود ولا ادري معنى النفود فأغتنم الفرصة لفهم معنى هذه الكلمة :

رأيت في كتب الافرنج وخرائطهم تسمية هذه البادية ببادية النفود فالتين ان النفود معناه الرمل وكلي بحثت في هذه الكلمة وحورتها وقلبتها فلم اعثر في كتب اللغة على اسم يوازي هذا الاسم الذي هو شبيه بالعربي ونقله جغرافيو الالمان والانكليز

وكلامي يسمعه بالطبع كثير من التجار الذين مر قوافلهم بتلك البادية

فعسى ان يحققوا (١) معنى هذه الكلمة حتى لايقال ان الافرنج يأتوننا بكلمة عربية ولا نعرف معناها

وبهذه المناسبة اقول انا نجد لبلادنا مصورات باللغة الافرنجية والغة العربية واذا نظرنا للعربية نجدها كانها مترجمة عن الافرنجية وربما كان المترجم يخرج في بعض الاسماء فيتركها .

في احد دروسي اردت ان اشرح للتلاميذ حالة بلاد العرب عند ظهور الاسلام فرأيت خرائط مصر ودار السعادة كلها خلواً من اسماء البلاد والاماكن لذلك دعوت تلامذتي لان يملأوا هذا النقص ويستعينوا بالذي ابقاه لنا مثل ابن خرداذبه والاصطخري والمسعودي لسد هذا النقص حتى اذا قرأنا شيئاً عن اخبار العرب عرفنا موطن القبائل والشعوب وقلت لهم ان الذي يساعدنا على العمل الاكبر لهذا المقصد ان نسأل التجار وتلاميذ الجامعة الاسلامية الكبرى وهي الازهر الذين يأتوننا من سائر البلاد الاسلامية فانهم اذا سألوا اهل العلم والتجار الوافدين الى مصر يمكننا ان نرسم خريطة وافية لبلاد العرب كافة احسن من التي عملها الافرنج واضاعوا في سبيلها كثيراً من الاموال والارواح ثم نعمل خريطة لبلاد العراق والشام واتمنى من الذين يهمهم ذلك ان يستعينوا باهل البلاد سواء كانوا من اهل العلم

(١) « المقتبس » سئل الشيخ عبدالله الاحمد الزواف احدي رؤساء دمشق في هذه الايام : هل تحكمة النقود استعمال بين العرب ؟ فاجاب : نعم النقود في لغة اهل نجد ومن يخالطهم من القبائل هو كل رمل متراكم ويسمونه ايضا الاحقاف . يقال فلان في النقود وبينه او جاله في النقود يعني الرمال المتراكمة الكبيرة قال هكذا يستعملونها منذ القدم الى الآن ويكثرون بها . وكثيراً ما رأينا السياح الاجانب مثل هوبرت الفرنسي وغيره يطوفون البلاد ومعهم كتب واوراق وخرائط يثبتون فيها ما يلتقونه عن كان معهم من العرب .

او التجار لانا نجزء انقطاعنا عن طلب العلم واكسب قد نزلنا الى الحضيض ووقفنا في طريق الجود بينما كان الافرنج يكونون

اذا اردت ان اعرف مواقع دمشق لا اقدر على ذلك الا بالخرائط الافرنجية والخرائط مصر ودار السعادة فكلها خلو من ذلك : هذا نقص يجب ان تعاون على سده حتى لا تكون عالة على الافرنج لا في العلوم فقط بل في مواقع بلادنا

اول خبر يطلعنا عليه التاريخ عن قليل من اهل الشام وهم الفينيقيون وبلادهم جزر صغيرة متواصل بعضها ببعض ولم يكن لهم قوة غير التجارة فملكوا بها العالم كله ووصلوا في ذلك الزمان المظلم الى مضيق جبل طارق ومنه الى بلاد الانكليز وهم اول من عرف تلك البلاد وقد ملكوا منها كثيراً كما انسوا كثيراً من البلاد في اسيانيا وكانت لهم المستعمرات في صقلية وغيرها . ثم زحفوا الى تونس واقاموا في قرطاجنة تلك المدينة الكبيرة وقد كانت هذه المدينة تاج ملك الفينيقيين والعمارة لها وتارة عليها . فلذلك عم اباء الشام حتى دار الدور وغار منهم الروم واليونان فاتوا ايضاً بطريق التجارة والملاحة وصاروا يأخذون املاك القرطاجنيين وحيثما تقدمت رومية وتأثرت من الوجود لكنا لا ننكر ان اليها بفضل التجارة مر من الجزائر ومراكش الى اسبانيا ومنها الى فرنسا فايطاليا ووقف حتى صاح الرومانيون بعضهم : مالكم قاعدون والعدو على الابواب وحيثما لم يمكن اليها من اتمام مقصده ولو كانت هذه السفن الحربية لكان بحق رومية ولكنه ايدعها كثيراً ولم يأته المدد فذهب فريسة اقدامه للهائل ولا شك انه خير لاهل الشام لانه فينيقي والفينيقيون من الشام

دار الزمان دورته وجاء الخلفاء العرب فاتسعت تجارتهم باتساع ملكهم وكانوا يقصدون التوسع والتوسع في الملك بواسطة التجارة ولذلك كان الخليفة العباسي يهدد اهل البصرة اذا اقفلوا باب التجارة امام تجار بغداد والشام .

ذهب فريق من اهل الكوفة الى الهند بقصد التجارة واقاموا فيها لكن الهنديين حرفوا اسم الكوفيين وسموهم (كوكل) وكذلك اتاها جماعة هربوا من الحجاج ايام تجبره على الذين يرغبون في ملوآة السلطة المروانية وذلك انه اجلى نفراً من قريش وتخير نفر قريش قبل النبوة بالتجارة كما قال تعالى لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فلما اجلاهم ذهبوا عن طريق البحر الى الهند فسماهم اهلها بالنواخذ (اللوتية) وبقوا فيها زمناً طويلاً حتى انتشروا انتشاراً هائلاً وهم الذين اسسوا الاسلام هناك .

فالتجارة اذن فضل كبير في انتشار الدين الاسلامي ايضاً . كان التجار يذهبون الى شطوط افريقية فيرى اهلها من حسن معاملتهم وعظم اخلاقهم ما يزيدهم في دينهم رغبة في قبول الاسلام ولذلك لم ينجح كثير من النصارى كما نجح تجار الاسلام . فالتجارة هي اساس العمران والتاجر اساس نجاحه الامانة والصدق في الاخذ والعطاء .

لما زالت الدولة في دمشق وانتقلت الى بغداد اختار المنصور الموقع النجاري لهذه العاصمة الكبرى وهي بغداد التي قال عنها علماء العرب : ان العراق سرة الدنيا وبغداد سرة العراق فبغداد سرة الدنيا

كان كرسي الدولة العباسية متداول قيامها في الكوفة ثم صار في الهاشمية ثم في الانبار لكن الخليفة رأى عاصمة بلاده في موقع غير تجاري فاراد ان يجعلها في اهم مركز تجاري ليكون مضمونة البقاء على الدوام ولذلك ارسل

الرسل ليقفوا على الجهة المطلوبة فاختاروا البقعة التي اقيمت فيها بغداد فالصين تجهيزك المادة من الشرب وطرائف مصر والشام عن طريق الفرات وتجهيزك في السفن من الصين والهند عن طريق دجلة وتجهيزك المادة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة وتجهيزك المادة من ارمينية فما فوقها عن طريق الباب والت بين انهار لا يصل عدو اليك الا على جسر او قنطرة فاذا قطعت الجسر واخربت القناطر لا يصل اليك عدوك وهو محتاج لعبور دجلة والفرات وهما خندقان طبيعيان لمدة امير المؤمنين ». فامر بحشر الصناع والنقلة من الشام والموصل وفارس والكوفة وواسط والبصرة واختار قوماً من اهل الدين والعدالة والمعرفة والهندسة فوكل اليهم امر العمال وكان فيهم الحجاج بن ارطاة للهندسة والوحيفة ان ثابت الفقيه ! والما اختار ابا حنيفة لان المنصور اراد ان يولي ابا حنيفة القضاء فامتنع فضربه فامتنع فحالف الله لا يدان يوليه عملاً والمتمت امره بان يتولى الطوب والابن ليرى بقسمه) وامر بتخطيط المدينة كلها فلما تم تخطيطها بالرماد اقبل يدخل من كل باب ويمر في طرقاتها ورحابها فرآها واقية ما يميل اليه النفس فوضع اول خير بيده قائلاً : بسم الله والله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال للعمال : ابنوا على بركة الله . وعند البناء امر بطبخ الطوب الاحمر (الآجر) وكان يعمر على يد ابي حنيفة بالملايين فاستدعى المهالبة وزيره جعفر البرمكي وقال له ما رأيك في عدم ايوان كسرى لجانب انقاضه واستعمالها في البناء فاجابه الوزير : انه رأي غير صائب لان الايوان من آثار الفرس وهذا البناء الذي تقيمه الآن من آثار الاسلام ينبغي ان لا يدخل فيه اثر لغيرهم . فقال له الخليفة : اخذتك

الغرة تهولك وحنت الى العجم فاردت ان تمتعني عن ذلك . ولم يعبأ بقول وزيره وارسل فعلة فقلعوا بعضه واتوا به الى بغداد فحسبوا النفقة فوجدوها تزيد بكثير على استحضار ادوات جديدة . ولذلك رأى الخليفة ان الاولى جلب الطوب الاحمر الجديد وحينئذ استدعى جعفر ثانياً وسأله في ذلك قائلاً : اريد ان اجلب الاحجار من الجبال لا من انقاض الايوان فاجابه الوزير « لا تفعل ذلك يا امير المؤمنين بل ثابر على ما باشرت به لئلا يقال ان ملك الاسلام عجز عن نقض ما بناه ملوك الاكاسرة » رأى المنصور ان الكلام صواب ولكن لا يمكنه العمل به لان المدينة تجارية اقتصادية فلم يسمع قول وزيره .

استمرت دولة العرب على هذه الحال من الترقي في العلم والتجارة في آن واحد والتجارة من فرنسا وروسيا وبريطانيا الى الهند وغيرها كما ان طريق بغداد حتى دالت الدولة منها وانتقلت الى الاندلس فكان للتجارة فيها رقي عظيم لكن لما اصابها بعد مدة مثل الاعواد التي ذكرتها لكم فدالت دولتهم باسباب التفرق والانقسام

قامت على انقاضهم دولة اسبانيا وسعت حتى رقيت بما اكتسبته من علوم الشرقيين وكذلك اخذت في الترقي دولة البورتغال وليس في وسعها التوسع في الملك فعجم ارباب الاقدام فيها على المحاط ولما كانت الهند اعظم محل تجاري ما ترسل من البهارات والابازير والفلفل والافاوية الى بغداد واوربا أرادوا ان يذهبوا اليها ليستعمروها وتولدت عندهم رغبة جديدة في ان يصلوا الى الهند عن طريق آخر لان الاسلام في المغرب الاقصى ومصر واقفون لهم بالمرصاد لئلا يستغنوا عن طريق البر وسلكوا طريق

البحر فاكتشفوا طريق رأس الرجاء الصالح وملكوا بلاد موزامبيك وزنجبار ووصلوا الى الهند وعاملوا تجارهم قائلين لهم لا نريد سوى الفلفل بهذه الوسيلة صار لهم مع اهل الهند معاملة قوية لكن تفرق تجار الهند جعل لهم عليهم كلمة فاستدعوا بملوك مصر وآل عثمان فلم يجيبوهم لان العداوة كانت متأصلة بين السلطان سليم والغوري ملك مصر

وذلك ان الغوري ارسل طائفة من الجند الى الهند على سفن (وبسمونها الغربة) صنعها في السويس فلما وصل قائده الى اليمن حدثت بينه وبين اهلها مناوشات اضطرته لان يدسي اوظيفة التي ارسل اليها وهي انقاذ البلاد من البورتقال فبقي في اليمن وفي اثناء ذلك كانت القاهرة في اضطراب شديد اساها الهند ايضاً فحارب بجامع السلطان سليم وانتصاره في واقعة (مرج دابق) التي قتل فيها الغوري واستولى هو على حلب ومصر والشام ثم اشتغلت الدولة العثمانية بمحاربة السلطان اسماعيل الصفوي ونسيت الهند فكان هذا التفرق والاضطراب اعظم وسيلة لامتلاك البورتقال تلك البلاد الغنية بثروتها ومحصولاتها

رأينا بلاد الهند فتحت على يد التجار كما امتلكها الانكليز اليوم بواسطة التجارة ايضاً لما اصبحت انكلترا ملكة البحار واهلها ملوك التجار .

في ذلك الوقت قامت اسبانيا توسع دائرة ملكها فرأت انها لا يمكنها طلب الهند من طريق البورتقال والمنافسة التجارية اساس الاستعمار فقام خريستوف كولمب وجرى في البحر من جهة الغرب ليملك بلاد الهند . بهذه الوسيلة اكتشف اميركا وسمّاها الهند الغربية . وارتقت اسبانيا حتى كانت كلتها هي العليا خصوصاً في ايام شارلكان فانها اغتنت وتدفقت اليها الاموال

من جهات الدنيا ولكنها تضعضعت اخيراً باخراج المسلمين وبالتراشي فأهلها الكثير حتى دخلت في عداد اهل القفار . في هذه الآونة كانت اوروبا جارية نحو التمدن والشرق قد آخذ الى الهوم والسكون الى الموت والجمود . وهنا اذكر لكم كلمة عن تمدن الاوربيين :

كانت اوروبا في منتهى التوحش حين كانت بغداد في اوج الحضارة حتى ان تجار العرب لما ذهبوا لاستعمار العنبر من شلسويج وصفوا اهلها بانهم وحوش عراة لايسترون عوراتهم الا بقطع من الجلود اذكره القزويني في آثار البلاد واخبار العباد . هذا وصف احد سياح العرب لتلك الدولة التي هي اليوم في ارقى درجات الحضارة .

تلبثت اوروبا من رقدتها باختلاطها مع العرب شرقاً في الشام وعربا في الاندلس فجمعت الزبدة والخلاصة النافعة من مدنية اليونان والرومان وضمت الى ذلك ما اخذته من احتكاكها بالشرق ايام الحروب الصليبية فتولدت لديها الحضارة . دخل احد امرائها في زمن الحرب الصليبية احد الحمامات في فلسطين (صور او صيدا) فاستعمل معه الحجامي النورة فاستعجب الامير من ذلك وخرج في الحال فأتى بامرأته وقال له افعل معها كما فعلت معي . في تلك الايام كان تعليمهم مبنياً على اساس العرب مثل كتب ابن سينا والفارابي وابن رشد وغيرها مما ترجموه الى لغاتهم .

كانت هذه الحركة اول مبدأ ترقيهم بعد ان كانوا عبيداً لقليل من السادة وكانت اوروبا ملكاً لافراد من الملوك . كان السكان عبيداً لهؤلاء السادة فاذا بيعت الارض بيعت رجالها وحيواناتها وكل شيء معها حتى كان للسادات حق التفخيذ اي ان لا تزف العروس حتى يأخذها الرئيس

خلعوا طاعتهم باهل الشرق ودعوا هذه الرعية منهم وقامت لديهم شبه حكومات ابتدائية في تلك البلاد ثم عثروا على مصنفات اليونان فصاروا يأخذون عنها مباشرة بعد ما كانوا يأخذون عن العرب واستمروا على هذه الحالة لكن هبت عليهم نفحة من الافكار الصالحة التي اكتسبوها من السيرين فاخذوا بالتجارة مع القوم ودرس علومهم بالقدر الذي ضغط الملوك وخصوصاً البابوات باسم الدين كان سبباً لتفرقهم على بعضهم اذ كان التعصب آخذاً منهم مأخذاً عظيماً . ومع ذلك فقد اوجدت شدة الضغط اقواماً عوامل كسروا قيود الاستعباد وفكوا اغلال الجمود مجاهرين بالحرية فكان من اجل ذلك ما كان من امر جوردانو الخربي الدومنيكي وواقعة القديس رأوس بن البروتستانت والكاثوليك وواقعة صلاة الفجر في صقلية حيث قام الناس بعضهم على بعض . وبذلك اضطر ارباب الافكار الحرة ومن البروتستانت الى المهاجرة من المانيا وفرنسا الى انكلترا وهولاندة حيث نشروا العلوم ووسعوا دائرة الافكار فتوفرت بهذه البلاد واقاضت المعارف منها على باقي بلاد اوروبا . سعى القوم وراء العلم والمعارف كثيراً فكان ذلك اسهل طريق لتأصيل دعائم الدين بينهم حتى ان غاليله لما قال بدوران الارض وانكر واقوله وحكموا عليه بالاعدام قدم الى القطع والسيف وهو يقول : ومع ذلك تدور . وكذلك قام في ايطاليا جوردانو رونو) فاحرقوه بالنار لانه نشر افكاراً حرة واما اليوم فكم له في بلاد اوروبا من تمثيل لانه كان من الذين سعوا في تحريك الرقاب من ربقة الجهل والعبودية

ثم قام ميراو بنشر الافكار الحرة بين الشعب حتى ان الملك ارسل من قبله الى هذا الخارج رجلاً يقول لهم (اخرجوا من هذه الدار) فاجابوه

نحن هنا نواب الشعب بارادته فلا نخرج الا بأطراف الحراب وكذلك قام (دانتون) وكان يخطب بالقوم ويقول : من اراد الظفر فعليه بالجرأة والاقدام ثم بالجرأة والاقدام ولكن شعاره على الدوام الجرأة والاقدام — جاء فولتير وروسو فاقاموا هذا الصرح العظيم فوق ذلك الاساس المتين وكانت احدى الجمعيات العلية حينئذٍ اقترحت وضع كتاب في الاجتماع والعمران جاعلة مكافأة كبيرة لمن يسبق في هذا المضمار ويجيد في التأليف فألف عندها جان جاك روسو كتابه (عقد الاجتماع) الا انه لم ينل الجائزة المعينة وانما اخذها رجل آخر لاغراض في النفوس لكن الافكار لم تستتر الا بهذا الكتاب ولذلك اسبل الدهر ستره على ماسواه .

انتشرت بهذه الوسيلة روح الحرية في فرنسا فكانت سبباً لنقوض اركان الاستبداد ورفع منار الحرية على تلك البلاد وصار كل واحد يقول ماير يد لان الافراد اصبحوا احراراً في اقوالهم وافكارهم وبذلك بلغت اوربا ماتراه اليوم من التقدم المدهش وخوارق الاعمال .

انتشرت الحرية من فرنسا الى امم اوربا فترتب على ذلك وجود المجالس النيابية وهي حكومة الشعب بالشعب التي كانت السبب لرقي دول اوربا كلها . ونعم اليوم على هذه الدعامة الاسلامية فالحمد لله الذي اعادنا الشورى في هذه الايام . في تلك الآونة انفسح المجال امام التجار وبات لهم طريقان طريق من الشرق وهو طريق رأس الرجاء الصالح وطريق من الغرب وهو طريق اميركا لكن بعد الشقة وطول المدة التي تزيد عن سبعة عشر يوماً لجأتهم الى فتح برزخ السويس فكانت اكبر ممهد للتجارة وترقيها على مانشاهده اليوم بالعيان .

ولكن لدينا طريق اهم واكثر فائدة وهو طريق بغداد فمتى تمت السكة الحديدية في هذا الطريق تعود الى التجارة . والسكك الحديدية في الارض كالشرايين في الجسم فاذا لم يجر شريان في البلد كان ذلك سبباً لهدم الحياة فيه وكلما انتشرت السكك في البلاد كان فيها زيادة الخير . من اجل هذا ارجو من اهل الشام وخصوصاً التجار ان يسعوا في هذه البلاد التي هي من اغنى اقطار الدنيا على الاطلاق ولكن تنقصها السكك الحديدية والاسف ان يبدوا التعاون على تأليف الشركات الوطنية حتى تبقى ثروة البلاد في البلاد ولا يتمتع بها الاجنبي وانتم منها محرومون . اوَمل من اهل الشام ان يضعوا الملايين بعضها في بعض لنقل خيرات البلاد الى البلاد وانتم ترقى دور التجارة والصناعة وتنال كثيراً من الفوائد دون ان يشترك فيها الاجنبي الا بما لا مندوحة عنه

رأيت القسم الاعظم من التجارة عند بيد الاهالين فحذار حذار ايها الكرام من ان تذهب من ايديكم وعليكم بالسعي في اصلاح طرق المواصلات كيلا تكون بيد الشركات الاجنبية .

نحن نسمع في مصر ان التفاح في الشام يعطى بصورة علف للدواب الا في سبيل نقله من الصعوبة ، اسمع ذلك وآسف كل الاسف لاننا نستجلب من البلاد الاخرى بضعة غالية . فاذا اصلحت طرق المواصلات تجدون مورداً للرزق وانتعاش به تنالون الفوائد الجسام وتعيدون الشرق مجده ان شاء الله